

مفاهيم القرآن

(348) فجميع هذه الأسباب والمسببات رغم ارتباطها بعضها ببعض - بحكم العلية - فهي مخلوقة لله جميعاً ، فإنه تنتهي العلية وإليه تؤول السببية وهو معطيها للأشياء . ولا شك أن " البشر هو أيضاً ذو آثار وأفعال ، كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها من الأفعال ، وكلها مرتبطة بالإنسان نفسه ، فهي أفعاله الاختيارية التي يتعلّق بها الأمر والنهي . ولكنّه ليس مستقلاً في فعله وأثره ، فكما أن " فعله يعد فعلاً له ومرتبلاً به ، فهكذا يعد فعله فعلاً لله سبحانه ومرتبلاً به بحكم كون وجوده وما أُعطي من القوى والطاقات مستندة إلى الله سبحانه ، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون فعل العبد مرتبلاً بالعبد ومنقطعاً عن الله ، إذ كيف يكون ذات الشيء مرتبلاً ويكون فعله منقطعاً ، فإن " غير المستقل بالذات غير مستقل في الفعل ، والمستقل في الذات مستقل في الفعل أيضاً . وبعبارة أخرى: أن " المراد من كون أفعال العباد مخلوقة لله ليس هو كونها فعلاً له سبحانه بلا مشاركة العبد ، بل المراد هو عدم استقلال العبد والعلل كلها في مقام الإنشاء والإيجاد وإلا " لزم أن يكون في صفحة الوجود فاعلون مستقلون في الفعل والإيجاد وهو بمنزلة الشرك . وبذلك يرتفع الاستيحاش عن القول بأن " أفعال العباد مخلوقة لله ، إذ ليس المراد أن الله سبحانه فاعل دونهم كما ليس المراد أن " أفعال لهم دونه سبحانه ، بل هي أفعال له تعالى من جهة وأفعال لهم من جانب آخر . وقد أوضحه بعض المحقّقين بالمثال التالي الذي يوضح موقف كل من مذهبي الجبر والتفويض وما هو الحق من الأمر بين الأمرين ، فلنفرض أن " إنساناً